

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[58] مع هذه الإشارة نعود إلى القرآن الكريم لنستوحي من آياته ما يتعلق بمسألة التواضع ونختار منها ما يُلقِي الضوء على هذا البحث المهم رغم وجود آيات كثيرة تبحث هذا الموضوع بالكناية أو بالملازمة. 1 - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الْبَقَا وَمِنْ يُحَدِّثْهُمْ وَيُحَدِّثْ عَنْهُ إِذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِعْزَازٌ عَلَى الْكَافِرِينَ...) (1) 2 - (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُحُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (2). 3 - (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (3). تفسير واستنتاج : "الآية الأولى" من الآيات مورد البحث تتحدث عن مجموعة من المؤمنين الذين شملتهم رعاية الله وعنايته فكانوا يحبون الله ويحبهم، وإحدى الصفات البارزة لهؤلاء أنهم يتعاملون مع أخوانهم المؤمنين من موقع التواضع والمودَّة (إِذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) وكذلك في المقابل (إِعْزَازٌ عَلَى الْكَافِرِينَ). (إِذِلَّةٌ) جمع "ذلول" و"ذليل"، ومن مادة "ذُل" على وزن حُر، وهي في الأصل بمعنى الملائمة والتسليم والليونة والإنعطاف في حين أن كلمة "إِعْزَازٌ" جمع "عزيز" ومن مادة "عزة" وتأتي بمعنى الشدَّة والصلابة، ويقال للحيوانات المطيعة "ذلول" لأنها ملائمة ومسلَّمة للإنسان، و"تذليل" في الآية الشريفة "ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا" إشارة إلى هذا المعنى، وهو سهولة اقتطاف ثمارها ثمار الجنة، وأحياناً تُستخدم كلمة "ذِلَّة" في موارد سلبية وذلك إذا واجه الإنسان موقفاً يُجبر فيه على شيء من غيره، وإلاَّ فإنَّ المعنى السلبي لهذه الكلمة لا 1. سورة المائدة، الآية 54. 2. سورة الفرقان، الآية 63. 3. سورة الشعراء، الآية 215.